قاعدة : النكرة في سياق النفي وأثرها في التفسير نماذج من تفسير (فتح القدير) للشوكاني ، دراسة تطبيقية .

م.د. علي محمود حمه مولود

جامعة كركوك/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

ملخص البحث

العنوان : قاعدة : النكرة في سياق النفي وأثرها في التفسير ، نماذج من تفسير (فتح القدير) للشوكاني ، دراسة تطبيقية .

هدف البحث: يهدف البحث إلى إبراز دلالة: النكرة في سياق النفي وأثرها في التفسير ، فجعلت تفسير الشوكاني ميدانا لتطبيقها ، وأخذت نماذج منه ، وهي جديرة بالدراسة لتكون بحثا مستقلا .

خطة البحث : قسمت البحث إلى مبحثين : المبحث الأول : السيرة الشخصية والعلمية للشوكاني ، وفيه ثلاثة مطالب .

المبحث الثاني : الدراسة التطبيقية ، وفيه ستة مطالب ، حيث أقوم بعرض النماذج ودراستها .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج ، منها : 1 . إن النكرة الواقعة في موضع النفي تفيد العموم ، ولها أثرها في التفسير .

2 . تأثر الشوكاني بالبيضاوي ، وأبي حيان الاندلسي ، وابن القيم أكثر من غيرهم .

3 . بلغت النماذج التي تمت دراستها (6) نماذج .

الكلمات المفتاحية : النكرة ، السياق ، النفي ، التفسير ، الشوكاني .

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد : قد اعتنى العلماء بكتاب الله عزوجل ، فعكفوا على تفسيره ، واستخراج كنوزه ، واستنباط علومه ، وهذا يعد ثمرة لفهم كلام الله تعالى وتدبره .

وكان مِنْ بين هؤلاء الأعلام الذين اجتهدوا في تدبر كتاب الله تعالى، وتفسيره ، واستنباط معانيه ، الإمام مُحَمد بن علي بن مُحَمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد ،صاحب التفسير

(فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) ، وقد اعتنى الشوكاني بقاعدة : النكرة في سياق النفي عناية عظيمة في تفسيره ، واعتمدها ورجح بها .

لذا فإنَّ دراسة هذا الموضع له أثر عظيم في التفسير وجدير بالبحث، ومِنْ أجل هذا فقد وقع عليه اختياري ؛ وقد جعلته بعنوان : (قاعدة : النكرة في سياق النفي وأثرها في التفسير ، نماذج من تفسير (فتح القدير) للشوكاني ، دراسة تطبيقية) .

أهمية الموضـــوع : يُعَدُّ هذا الموضوع غاية في الأهمية في الدراسات التفسيرية ، وتتجلى أهميته من حيث أن كثيرا من المفسرين اعتمدوا على هذه القاعدة منهم : البيضاوي ، وأبو حيان ، والشنقيطي ، وذلك للوصول إلى القول الراجح في مواضع كثيرة .

أسباب اختيار الموضوع : اخترت هذا الموضوع ؛ لأسبابٍ ؛ ودوافع أهمها ما يأتـــي : ما سبق ذكره مِنْ أهمية الموضوع ، وحبي لمادة التفسير وعلومه ، ورغبتي الشديدة في التعمق والاطلاع على كتب التفسير ، والاستفادة منها.

الدراسات السابقة : بعد البحث والاطلاع وسؤال أهل الخبرة والاختصاص من الباحثين ، لا أعلم أحداً قام بدراسة هذا الموضوع في تفسير (فتح القدير) بشكل مستقل.

منهجي في البحث: المنهج الذي اتبعته في هذا البحث يمكنْ إجماله وتلخيصه في النقاط الآتيـة

أولا: قمتُ بالبحث عن هذه القاعدة في تفسير(فتح القدير) فوقفت على عشرة نموذجا ، واخترت نماذج منه ، وجَعَلْتُ لكل منها مطلبا ، وذكرتُ الآية القرآنية التي فيها محل الشاهد .

ثانيا: قسمتُ المطالبَ في المبحث الثاني على أربع مسائل كالآتي :

أ . ذكرتُ في المسألة الأولى تفسير الآية عند الشوكاني . بإيجاز .

ب . ذكرتُ في المسألة الثانية محل الشاهد من الآية .

ت . ذكرت في المسألة الثالثة دلالة القاعدة وأثرها في التفسير .

ث . في المسألة الرابعة قُمْتُ بدراسة النموذج ، وذلك على النحو الآتي :

1 . ذكرتُ تأثر الشوكاني بِمَنَ سبقه مِنَ المفسرين حسب ترتيب وفياتهم .

2 . ذكرتُ تأثيره بِمَنْ بعده مِنَ المفسرين حسب ترتيب وفياتهم .

ج . أما في المسألة الخامسة قمت بالمناقشة والترجيح .

التمهيد

قبل الدخول في دراسة هذا الموضوع يحسن أن أبين معاني المصطلحات الآتية :

أولا : تعريف القاعدة اصطلاحا : عرّفها تاج الدين ابن السبكي[1] بقوله: (فالقاعدة: الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة تفهم أحكامها منها)[2] .

ثانيا : تعريف النكرة اصطلاحا : تعددت تعريفات النحاة للنكرة ، واختلفت عباراتهم فيها ، ومن تلك التعريفات تعريف ابن آجُرُّوم[3] للنكرة بأنه : (كل اسم شائعٍ في جِنسِه لا يَختَصُّ به واحد دون آخر ... نحو: الرجُلُ والفَرَسُ)[4] .

ثالثا : تعريف السياق اصطلاحا : التعريف المختار للسياق القرآني، هو : (ما يؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود أو سابقه)[5] .

ربعا : تعريف النفي اصطلاحا : قال صاحب النحو الوافي المراد من النفي هو : (سلب الحكم عن شيء بأداة معينة ، وهذه الأداة النافية قد تكون حرفا؛ "مثل: لا، ما، لم، لن ... " وقد تكون فعلا، "مثل: ليس، زال" ... وقد تكون اسما؛ "مثل: غير ...)[6] .

---

[1] ابن السبكي هو: تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي المؤرخ، فقيه أصولي، ولد سنة 727هـ، بالقاهرة ثم انتقل إلى دمشق وسكنها وتوفي بها سنة 771هـ بمرض الطاعون، له مؤلفات كثيرة منها: جمع الجوامع في الأصول، والأشباه والنظائر، وطبقات الشافعية الكبرى. ينظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي، (ت: 1089هـ) ، تحقيق: محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير، دمشق – بيروت ، ط1، 1406 هـ ، 1/ 66 . 67 . وينظر : الفتح المبين في طبقات الأصوليين ، عبد الله مصطفى المراغي ، مطبعة أنصار السنة المحمدية ، سنة النشر : 1947م ، 2/ 184 . 185 .

[2] الأشباه والنظائر ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: 771هـ) ، دار الكتب العلمية ، ط1، 1411هـ- 1991م ، 1/ 11 .

[3] ابن آجُرُّوم هو: أبو عبد الله، محمد بن محمد، بن داود، الصنهاجي، نسبة إلى إحدى القبائل بالمغرب، النحوي، المعروف بابن آجروم، ومعناه بلسان البربر: الفقير الصوفي الورع، كان إماما في النحو وغيره، ولد بفاس، سنة 674هـ وتوفي بها سنة 723هـ. ينظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية – لبنان / صيدا ، 238/1 .

[4] متن الآجرومية ، ابن آجُرُّوم، محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، أبو عبد الله (ت: 723هـ) ، دار الصميعي ، ط1: 1419هـ-1998م ، 1/ 14 . وينظر : التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه ، علي بن إسماعيل الأبياري (ت 616 هـ) ، تحقيق: د. علي بن عبد الرحمن بسام الجزائري ، دار الضياء – الكويت ، ط1، 1434 هـ – 2013 م ، 1/ 898 .

[5] حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع للإمام ابن السبكي ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، (30/1).

[6] النحو الوافي عباس حسن (ت: 1398هـ) ، دار المعارف ، ط : 15 ، 4/ 355 .

خامسا : تعريف العام اصطلاحا : عرفه جمهور الأصوليين بقولهم : (لفظ يستغرق جميع ما يصلح له بوضع واحد)[7] .

سادسا: تعريف التفسير اصطلاحا : مِنْ أجمع ما قيل في تعريف التفسير . والله تعالى أعلم . أنه : (علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية)[8] .

سابعا : من اقوال علماء التفسير في قاعدة : النكرة في سياق النفي[9] .

إنَّ الناظر في كتب التفسير يجد جمع غفير من المفسرين ذكروا هذه القاعدة في تفاسيرهم وذلك لبيان المعنى أو للوصول إلى القول الراجح[10] .

---

[7] الإبهاج في شرح المنهاج ((منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي (ت سنه 785هـ)) ، علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي وولده تاج الدين عبد الوهاب ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1416هـ – 1995 م ، 2/ 82 .

[8] مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1/1415هـ ، 1995م ، (6/2) .

[9] هذه المسألة من المسائل المشتركة بين التفسير ، وأصول الفقه ، وعلم المعاني. ينظر على سبيل المثال : المحصول ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ) ، تحقيق: طه جابر العلواني ، مؤسسة الرسالة ، ط3، 1418 هـ – 1997 م ، 2/ 343 ، وروضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ثم الحنبلي، (ت: 620هـ) ، مؤسسة الريّان ، ط2، 1423هـ–2002م ، 2/ 13 ، والإبهاج في شرح المنهاج ، 2/ 104 ، والبحر المحيط في أصول الفقه ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ) ، دار الكتبي ، ط1، 1414هـ – 1994م ، 4/ 149 ، وغير ذلك .

وكذلك تطرق بعض النحويون والبلاغيون لهذه المسألة في كتبهم ، ينظر : شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي (ت: 889هـ) ، تحقيق: نواف بن جزاء الحارثي ، ط1، 1423هـ/2004م ، 1/ 359 ، وحاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ت: 792 هـ) [ومختصر السعد هو شرح تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين القزويني] ، محمد بن عرفة الدسوقي ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية، بيروت ، 1/ 390 .

[10] فمن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر ، الرازي فقال : (النكرة في موضع النفي تفيد العموم) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط3 – 1420 هـ ، 13/ 82 .

وقال الشوكاني : (النكرة في سياق النفي من صيغ العموم) فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ) ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ، 5/ 523 .

وقال الشنقيطي : (النكرةَ في سياقِ النفيِ من صيغِ العمومِ . إلا أنها تكونُ ظاهرةً في العمومِ، فإذا زِيدَتْ قبلَ النكرةِ لفظةُ (مِنْ) نَقَلَتْهَا من الظهورِ في العمومِ إلى التنصيصِ الصريحِ في العمومِ) العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ

المبحث الأول : سيرة الإمام الشوكاني الشخصية والعلمية، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : اسمه ، ونسبه ، ونسبته ، وكنيته ، ولقبه .

أولا : اسمه ، ونسبه : هو مُحَمد بن علي بن مُحَمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد[11] .

ثانيا : نسبته : ذكر المترجمون له أنَّ للإمام الشوكاني . عدة نسب منها : الشوكاني ، ثم الصنعاني[12] .

ثالثا : كنيته : أجمعتْ المصادر التي ترجمتْ له على أنَّ كنيته (أبو عبد الله)[13].

رابعا : لقبه : أما لقبه ، فقد لُقِّب الإمام الشوكاني بألقاب كثيرة منها: الإمام ، بقيةُ السلف، وذخيرةُ الخلف ، قامع المبتدعين ...[14]، إلا شهرته بنسبته (الشوكاني) حلت محل اسمه ولقبه وكنيته[15] .

المطلب الثاني : مولده ، ونشأته ، ووفاته ، وثناء العلماء عليه

أولا : مولده : ولد الإمام الشوكاني بهجرة شوكان من بلاد خولان باليمن ، يوم الاثنين الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة (1173 هـ)[16] .

الشَّنْقِيطِيّ فِي التَّفْسِيرِ ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: 1393هـ) ، تحقيق: خالد بن عثمان السبت ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، ط2، 1426 هـ ، 1/ 206 .

[11] ينظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ) ، دار المعرفة – بيروت ، 2/ 214 وما بعده . وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت: 1399هـ) ، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان ، 2/ 365 .

[12] قال الحموي : (شوكان: قرية باليمن من ناحية ذمار) معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: 626هـ) ، دار صادر، بيروت ، ط2، 1995 م ، 3/ 373 .

أما الصنعان : هي مدينة باليمن بينها وبين عدن ثمانية وستون ميلا . ينظر : معجم البلدان ، 3/ 484 .

[13] ينظر : معجم المؤلفين 12، 175 ، ومعجم المفسرين ، 2/ 665 .

[14] ينظر : التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: 1307هـ) ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ، ط1، 1428 هـ – 2007 م ، 1/ 436 . وأبجد العلوم ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: 1307هـ) ، دار ابن حزم ، ط1، 1423 هـ– 2002 م ، 1/ 683 . 684 .

[15] ينظر : هدية العارفين ، 2/ 365 .

[16] ينظر : البدر الطالع ، 2/ 215. ومعجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» ، عادل نويهض ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف ، بيروت – لبنان ، ط3، 1409 هـ – 1988 م ، 2/ 593 .

ثانيا : نشأته : نشأ الإمام الشوكاني بصنعاء اليمن في بيت علم وصلاح ، وكان أبوه واحد من كبار علماء اليمن، فتربى في بيئة تعينه على طلب العلم ، وقد تكفل والده معيشته لئلا يشتغل بغير طلب العلم .

قال الشوكاني عن والده : (وَلَقد بلغ معي إلى حد من الْبر والشفقة والإعانة على طلب الْعلم وَالْقيام بِمَا أحتاج إليه مبلغا عظِيما بِحَيْثُ لم يكن لي شغلة بِغَيْر الطلب فجزاه الله خيراً)[17] .

ثالثا : وفاته : اتفقت مصادر الترجمة على أنَّ الشوكاني رحمه الله توفي بصنعاء في جمادي الآخرة سنة (1250هـ) ، وكان عمره عند وفاته (77) سنة [18].

رابعا : ثناء العلماء عليه : جاء نَعْتُ الإمام الشوكاني بأنه : من كبار علماء اليمن في عصره، مفسر، محدث، فقيه، أصولي ، أديب، نحوي ، ومما يدل على مكانته ، كثرة الثناء عليه مِمَنْ جاءوا بعده ، ومِنْ ذلك : قال القنوجي[19] : (قاضي القضاة، وإمامُ الأئمة الهداة، بقيةُ السلف، وذخيرةُ الخلف)[20] وقال أيضا : (الإمام العلامة الرباني والسهيل الطالع من القطر اليماني إمام الأئمة ومفتي الأمة بحر العلوم وشمس الفهوم سند المجتهدين الحفاظ فارس المعاني والألفاظ، فريد العصر نادر الدهر شيخ الإسلام قدوة الأنام علامة الزمان ترجمان الحديث والقرآن علم الزهاد أوحد العباد قامع المبتدعين آخر المجتهدين رأس الموحدين تاج المتبعين صاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها)[21] .

وقال الزركلي[22]: (فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء)[23].

---

[17] البدر الطالع ، 2/ 215.

[18] ينظر : معجم المؤلفين ، 53/11 . والأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ) ، دار العلم للملايين ، ط15 ، 2002 م ، 6، 296 .

[19] القنوجي هو : محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني، البخاري، القنوجي، من رجال النهضة الإسلامية المجددين، له مصنفات كثيرة بالعربية، والفارسية، والهندية، منها (أبجد العلوم) و(فتح البيان) في التفسير، وغير ذلك، توفي سنة ألف وثلاثمائة وسبع هجرية . ينظر: الأعلام، (167/6 – 168).

[20] التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: 1307هـ) ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ، ط1، 1428 هـ – 2007 م ، 1/ 436 .

[21] أبجد العلوم ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: 1307هـ) ، دار ابن حزم ، ط1، 1423 هـ– 2002 م ، 1/ 683 . 684 .

[22] الزِّرِكْلي هو : خير الدين بن محمود بن محمد ، الزركلي الدمشقي ، ثم السعودي الجنسية ، ولد سنة 1309هـ ، كان كاتبا ، ومؤرخا ، وشاعرا ، من مصنفاته : (الأعلام) و(شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز) ، وغير ذلك ، توفي بالقاهرة سنة (1396هـ) . ينظر : الأعلام ، (267/8) .

[23] الأعلام ، 6/ 298 .

وقال صاحب معجم المؤلفين : (مفسر، محدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، أديب، نحوي، منطقي، متكلم، حكيم)[24] .

المطلب الثالث : حياته العلمية: أشهر شيوخه ، وأشهر تلاميذه ، وآثاره العلمية .

أولا : أشهر شيوخه : تلقى الإمام الشوكاني . رحمه الله . العلم عَنْ نخبة مِنَ العلماء ، كانت لهم مكانتهم العلمية ، أذكر بعضهم ممن صرح أصحاب التراجم بأخذه عنهم وفيما يأتي بيان بأسماء أولئك العلماء: الشيخ أَحْمد بن عَامر الحدائى ثمَّ الصّنعاني (ت 1197هـ)[25] ، والسَّيِّد إسماعيل بن الْحسن بن أَحْمد بن الْحسن (ت 1206هـ)[26] ، والشيخ عبد الرَّحْمَن بن الْحسن الْأَكْوَع (ت 1207هـ)[27] ، والإمام عبد القادر بن أحمد الكوكباني (1207هـ) [28] ، والعلامة القاسم بن يحيى الخولاني (1209هـ)[29] ، والسَّيِّد عبد الرَّحْمَن بن قَاسم المداني (ت1211هـ)[30] ، والده عليّ بن مُحَمَّد الشوكاني (1211هـ)[31] ، والعلامة عبد الله بن إسماعيل النهمي (1228هـ)[32] وغيرهم[33]

ثانيا : أشهر تلاميذه : في أثناء مطالعاتي في تراجم الرجال وقفتُ على أسماء بعض مَنْ تتلمذ على يد الإمام الشوكاني ، ومن هؤلاء : العلامة عبد الرَّحْمَن بن أَحْمد بن الْحسن على البهكلى (ت1227هـ)[34] ، والشيخ الْحُسَيْن بن مُحَمَّد بن عبد الله العنسي (ت1235هـ)[35] ، ومُحَمَّد بن

---

[24] معجم المؤلفين ، 11/ 53 .

[25] ينظر : البدر الطالع ، 1/ 132

[26] ينظر : المصدر نفسه ، 1/ 145 .

[27] ينظر : المصدر نفسه ، 1/ 235 .

[28] ينظر : التاج المكلل ، 1/ 448 .

[29] ينظر : معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ ، محمد محمد محمد سالم محيسن (ت: 1422هـ) ، دار الجيل – بيروت ، ط1، 1412 هـ – 1992 م ، 2/ 380 .

[30] ينظر : البدر الطالع ، 1/ 236 .

[31] ينظر : المصدر نفسه ، 1/ 478 .

[32] ينظر : المصدر نفسه ، 1/ 444 .

[33] كالسيد بن الحسين بن يوسف زبارة (ت 1231هـ) ، والْعَلامَة على ابْن هادي عرهب (ت1236هـ) ، و الشَّيْخ الْعَلامَة هادي بن حُسَيْن القارني (1237هـ) ، والشيخ يحيى بن محمد الحوشي (ت1247هـ) . ينظر : البدر الطالع ، 237/1 ، 1/ 499 ، 2/ 319 ، 344/2 .

[34] ينظر : البدر الطالع ، 1/ 319 .

[35] ينظر : المصدر نفسه ، 1/ 228 .

أَحْمد بن سعد السودي (ت1236هـ)[36] ، وأخوه يحيى بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني (ت 1267هـ)[37] ، وابنه أحمد بن محمد بن علي الشوكاني (ت1281هـ)[38]، وغيرهم .

ثالثا : آثاره العلمية : للإمام الشوكاني . رحمه الله . مؤلفات تدل على مكانته العلمية ، فمنها : تفسيره فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، نيل الأوطار شرح منتقى الاخبار ، وإرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات ، والدراري المضية شرح الدرر البهية ، والسيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، وتحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ، وإرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول ، والفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني ، وغيرها كثير[39].

المطلب الأول

النكرة في سياق النفي في قول الله تَعَالَىٰ:﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[40].

فيه مسائل : المسألة الأولى : تفسير الكريمة الكريمة .

قال الشوكاني رحمه الله :(قوله: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ، فيه بيان شدة عداوة الكفار للمسلمين، حيث لا يودون إنزال الخير عليهم من الله سبحانه[41]، ... قوله ﴿ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ وقد قيل: بأن الخير: الوحي وقيل: غير ذلك، والظاهر أنهم لا يودون أن ينزل على المسلمين أي خير كان، فهو لا يختص بنوع معين، كما يفيده وقوع هذه النكرة في سياق النفي، ... والرحمة قيل: هي القرآن وقيل: النبوة وقيل: جنس الرحمة من

---

[36] ينظر : المصدر نفسه ، 2/ 103 .

[37] ينظر : المصدر نفسه ، 2/ 238 .

[38] ينظر : الوجازة في الاثبات والإجازة ، أبو صفوان ذياب بن سعد بن علي بن حمدان بن أحمد بن محفوظ آل حمدان الغامدي الأزدي نسبا، ثم الطائفي مولدا ، دار قرطبة ، بيروت – لبنان ، ط1، 1428 هـ ، 351/1 .

[39] ينظر : البدر الطالع ، 1/ 138 ، وأبجد العلوم ، 1/ 656 ، وهدية العارفين، 2/ 356 ، ومعجم التاريخ التراث الإسلامي ، 4/ 2977 ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ، يوسف بن إليان بن موسى سركيس (ت: 1351هـ) ، مطبعة سركيس بمصر 1346 هـ – 1928 م ، 2/ 1160 .

[40] سورة البقرة ، الآية 105 .

[41] قال ابن عاشور : (والتعبير بالتنزيل دون الإنزال لحكاية الواقع إذ القرآن نزل منجما لتسهيل حفظه وفهمه وكتابته وللتيسير على المكلفين في شرع الأحكام تدريجا) . التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن الطاهر بن عاشور التونسي (ت : 1393هـ) ، الدار التونسية للنشر – تونس ، 1984 هـ ، 1/ 653 .

غير تعيين، كما يفيد ذلك الإضافة إلى ضميره تعالى ، قوله ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ أي: صاحب الفضل العظيم، فكيف لا تودون أن يختص برحمته من يشاء من عباده)[42].

المسألة الثانية : محل الشاهد من الآية الكريمة قول الله تعالى :﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ .

المسألة الثالثة : أثر القاعدة في تفسير الآية الكريمة .

قول الله تعالى : ﴿ مَّا ﴾ نافية[43] ، وقوله تعالى : ﴿ خَيۡرٖ ﴾ نكرة وقعت في سياق النفي ، أفادت العموم ، وهي تشمل خير الدنيا والآخرة ، سواء كانت قليلا أو كثيرا ، وهذه حقيقة قرآنية فأي خير يمكن أن تتصوره فإن اليهود والنصارى والكفار لا يرضونه للمسلمين ، وهذا كما قال في آية أخرى : ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ ﴾ [44].

المسألة الرابعة : الدراسة .

أولا : تأثر الشوكاني بمن سبقه من المفسرين.

وقد أشار جماعة من المفسرين إلى هذه القاعدة تلميحا لا تصريحا فمن هؤلاء : البيضاوي[45] ، وأبي حيان الأندلسي[46] ، والثعالبي[47] ، وغيرهم[48] .

---

[42] فتح القدير ، 1/ 146 .

[43] ينظر : البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ) ، تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة: 1420 هـ ، 1/ 544 . وإعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: 1403هـ) ، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، ط4 ، 1415 هـ ، 1/ 163 .

[44] سورة النساء ، الآية 89 .

[45] ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (ت: 685هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط1 – 1418 هـ ، 1/ 99 .

البيضاوي هو: عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أبو الخير، القاضي ناصر الدين البيضاوي، الشافعي، من تصانيفه (أنوار التنزيل) و(طوالع الأنوار) في التوحيد وغيرها، توفي في بلدة تبريز سنة خمس وثمانين وستمائة هجرية. ينظر: طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي (ت: 1033هـ) ، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ، ط1/1417هـ – 1997م ، 1/254 – 255.

[46] ينظر : البحر المحيط في التفسير ، 1/ 545 . 546 .

أبو حيان الأندلسي هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الأندلسي، الحياني الأصل، الغرناطي، شيخ النحاة، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة، من مصنفاته : (البحر المحيط) و(شرح التسهيل)، توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة هجرية. ينظر: طبقات المفسرين ، الأدنروي ، (1/278 – 280) ، وبغية الوعاة في

ثانيا : تأثيره بمن بعده من المفسرين.

وممن صرح بذكر هذه القاعدة عند تفسير الآية المذكورة مِنْ بعد الشوكاني . حسب اطلاعي . القنوجي[49].

وألمح جماعة أخرى من المفسرين إلى ما ذهب اليه الشوكاني فمن هؤلاء : السعدي[50] ، وصاحب زهرة التفاسير[51] ، وابن عثيمين[52] .

طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت911هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المكتبة العصرية ، لبنان/صيدا ، (280/1) وما بعدها .

[47] ينظر : الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: 875هـ) ، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط1 – 1418 هـ ، 1/ 293 .

الثعالبي هو: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الثعالبي ، الجزائري ، المالكي ، مفسر، من أعيان الجزائر، ولد سنة سبعمائة وست وثمانون ، من مصنفاته (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) و(الأنوار) في المعجزات النبوية، وغير ذلك ، توفي سنة ثمانمائة وخمس وسبعين هجرية ، عن نحو تسعين سنة. ينظر: طبقات المفسرين، الأدنروي ، (342/1).

[48] ينظر : السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ) ، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة ، 1285 هـ ، 1/ 84

[49] ينظر : فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: 1307هـ) ، تحقيق: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري ، المَكتبة العصريَّة ، صَيدَا – بَيروت ، 1412 هـ – 1992 م ، 1/ 244 .

[50] ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: 1376هـ) ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1420هـ –2000 م ، 1/ 61 .

السعدي هو : عبد الرحمن بن ناصر السعدي، النجدي، مفسر، محدث ، فقيه، ولد سنة ألف وثلاثمائة بعنيزة القصيم، من مصنفاته(تيسير الكريم) و(تيسير اللطيف) وغير ذلك، توفي سنة ألف وثلاثمائة وست وسبعين هجرية بعنيزة. ينظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة– بيروت ، ط 1414/1هـ – 1993م ، (121/2– 122).

[51] ينظر : زهرة التفاسير ، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ) ، دار الفكر العربي ، 1/ 348 .

[52] ينظر : تفسير الفاتحة والبقرة ، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: 1421هـ) ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية ، ط1، 1423 هـ ، 1/ 339 .

ابن عثيمين هو : أبو عبد الله ، محمد بن صالح بن عثيمين الوهيبي التميمي، من مؤلفاته : تفسير آيات الأحكام ولم يكمل ، أصول في التفسير ، توفي سنة (1420هـ)، ينظر : مقدمة مجموع الفتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، جمع وترتيب : فهد بن ناصر ، دار الوطن . الرياض ، ط1407/1هـ ، (9/1) .

ثالثا : مجمل الأقوال الواردة في معنى (خير) في الآية ستة، وهي: القرآن ، ما اختص به رسول الله ﷺ من المزايا ، النبوة والإسلام ، النصرة ، العلم والفقه والحكمة ، عام في جميع أنواع الخير[53] .

رابعا : الترجيح .

الذي يظهر – والله أعلم بالصواب– أنَ الراجح في بيان معنى (خير) في الآية المذكورة ، هو عام في جميع أنواع الخير ، يؤيد هذا الترجيح، قاعدة: أن النكرة في سياق النفي تفيد العموم ، وعليه فقوله: ﴿ مِّنۡ خَيۡرٍ ﴾ يشمل كل ما يطلق عليه اسم الخير، وممن رجح هذا القول مثلا : البيضاوي[54] ، وأبو حيان الآندلسي[55] ، والآلوسي[56]

المطلب الثاني

النكرة في سياق النفي في قول الله تَعَالَىٰ:﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[57].

فيه مسائل : المسألة الأولى : تفسير الآية الكريمة .

قال الشوكاني رحمه الله :(قوله : ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ أي: أخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالا لا علم لكم بشيء، وجملة ﴿ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ ... قيل: المراد لا تعلمون شيئا مما أخذ عليكم من الميثاق، وقيل: لا تعلمون شيئا مما قضى به عليكم من السعادة والشقاوة، وقيل: لا تعلمون شيئا من منافعكم. والأولى التعميم لتشمل الآية هذه الأمور وغيرها اعتبارا بعموم اللفظ، فإن شيئا نكرة واقعة في سياق النفي. ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ

---

[53] ينظر : زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ) ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط1 – 1422 هـ، 1/ 98 .

[54] ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، 1/ 99 .

[55] ينظر : البحر المحيط في التفسير ، 1/ 545 . 546 .

[56] ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ) ، تحقيق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1، 1415 هـ ، 1/ 349 .

الآلوسي هو: محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي ، شهاب الدين ، أبو الثناء، ولد في بغداد سنة ألف ومائتين وسبع عشرة ، من مصنفاته (روح المعاني) في التفسير، و(حاشية على شرح القطر) في النحو وغير ذلك ، توفي سنة ألف ومائتين وسبعين هجرية. ينظر: الأعلام ، (176/7).

[57] سورة النحل ، الآية 78 .

وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ ... جعل لكم هذه الأشياء لتحصلوا بها العلم الذي كان مسلوبا عنكم عند إخراجكم من بطون أمهاتكم، وتعملوا بموجب ذلك العلم من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه، والأفئدة: جمع فؤاد، وهو وسط القلب، منزل منه بمنزلة القلب من الصدر، قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي: لكي تصرفوا كل آلة فيما خلقت له، فعند ذلك تعرفون مقدار ما أنعم الله به عليكم فتشكرونه، أو أن هذا الصرف هو نفس الشكر)[58] .

المسألة الثانية : محل الشاهد من الآية الكريمة قول الله تعالى :﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ .

المسألة الثالثة : أثر القاعدة في تفسير الآية الكريمة .

قول الله تعالى : ﴿لَا ﴾ نافية[59] ، وقوله تعالى : ﴿شَيْـًٔا ﴾ نكرة في سياق النفي في قوله : ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ ، تفيد العموم ، فيكون معناه : لا تعلمون شيئا من الأشياء كلها قل أو جل ، ونفى العلم في الآية يستلزم منه ثبوت الجهل في أصل الإنسان[60] .

المسألة الرابعة : الدراسة .

أولا : تأثر الشوكاني بمن سبقه من المفسرين.

وقد سبق الشوكاني إلى الاستدلال بهذه القاعدة أبي حيان الأندلسي[61].

ثانيا : تأثيره بمن بعده من المفسرين. وممن صرح بذكر هذه القاعدة . النكرة في سياق النفي . مِنْ بعد الشوكاني بعض المفسرين فمن هؤلاء : القنوجي[62] ، والالوسي[63] .

ثالثا : مجمل الأقوال الواردة في معنى قوله تعالى ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ أربعة أقاويل:

أحدها: لا تعلمون شيئا مما أخذ عليكم من الميثاق في أصلاب آبائكم.

الثاني: لا تعلمون شيئا مما قضي عليكم من السعادة والشقاء.

الثالث: لا تعلمون شيئا من منافعكم .

الرابع : لا تعلمون الأشياء كلها[64].

---

[58] فتح القدير ، 219/3 .

[59] ينظر : إعراب القرآن الكريم ، أحمد عبيد الدعاس– أحمد محمد حميدان – إسماعيل محمود القاسم ، دار المنير ودار الفارابي – دمشق ، ط1، 1425 هـ ، 2/ 169 .

[60] ينظر : مفاتيح الغيب ، 13/ 25 .

[61] ينظر : البحر المحيط في التفسير ، 6/ 574 .

[62] ينظر : فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، 7/ 289 .

[63] ينظر : روح المعاني ، 7/ 437 .

[64] ينظر : بحر العلوم ، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي ، دار الفكر ، تحقيق: د.محمود مطرجي ، 2/ 284 . وينظر : اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل

رابعا: الترجيح : الذي يظهر – والله أعلم بالصواب– أنَّ الراجح من هذه الأقوال هو القول الرابع . وهو الذي رجحه الشوكاني . وذلك لأمور منها:

أولا : استنادا الى قاعدة :(يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص)[65] ، نظرا لهذه القاعدة ينبغي أن يحمل لفظ (شيئا) هنا في الآية على عمومها، لعدم وجود دليل على التخصص فيما وقفت عليه .

قال الالوسي : (والظاهر العموم ولا داعي إلى التخصيص)[66].

ثانيا : من قواعد الترجيح المؤيدة لهذا القول، قاعدة: النكرة في سياق النفي تفيد العموم .

قال أبو حيان الأندلسي : (والأولى عموم لفظ شيء، ولا سيما في سياق النفي)[67] .

فائدة : قال السيوطي[68] : (استدل به على أن الأصل في الناس الجهل فلا يجوز استفتاء رجل غير مشهور بالعلم حتى يبحث عن علمه ومن ادعى جهل شيء كان القول قوله لموافقته للأصل).[69]

المطلب الثالث

النكرة في سياق النفي في قول الله تَعَالَىٰ:﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[70].

فيه مسائل : المسألة الأولى : معنى الآية الكريمة .

الحنبلي (ت: 775هـ) ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، ط1، 1419 هـ – 1998م ، 12/ 130 .

[65] قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي بن حسين الحربي، دار القاسم– الرياض، ط1417/1هـ–1996م، 2/ 527 .

[66] روح المعاني ، 437/7 .

[67] البحر المحيط ، 574/6 .

[68] السيوطي هو : جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد المصري ، الشافعي ، الإمام الكبير، المسند المحقق المدقق، صاحب المؤلفات النافعة كان أعلم زمانه بعلم الحديث وفنونه ، ومؤلفاته بلغت (725) ، ما بين مجلدات ورسائل ، توفي سنة (911هـ) . ينظر : الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت: 1061هـ) ، تحقيق: خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1/ 1418هـ – 1997م ، (227/1 وما بعده).

[69] الإكليل في استنباط التنزيل ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) ، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1401 هـ – 1981 م ، 1/ 163 .

[70] سورة الكهف ، الآية 49 .

قال الشوكاني رحمه الله :(﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ المراد بالكتاب صحائف الأعمال ... والوضع إما حسي بأن توضع صحيفة كل واحد في يده: السعيد في يمينه، والشقي في شماله أو في الميزان. وإما عقلي: أي: أظهر عمل كل واحد من خير وشر بالحساب الكائن في ذلك اليوم ﴿ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ أي: خائفين وجلين مما في الكتاب الموضوع لما يتعقب ذلك من الافتضاح في ذلك الجمع، والمجازاة بالعذاب الأليم ﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا ﴾ يدعون على أنفسهم بالويل لوقوعهم في الهلاك، ... ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا ﴾ أي: أي شيء له لا يترك معصية صغيرة ولا معصية كبيرة إلا حواها وضبطها وأثبتها ... صغيرة وكبيرة نكرتان في سياق النفي، فيدخل تحت ذلك كل ذنب يتصف بصغر، وكل ذنب يتصف بالكبر، فلا يبقى من الذنوب شيء إلا أحصاه الله ﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ ﴾ في الدنيا من المعاصي الموجبة للعقوبة، أو وجدوا جزاء ﴿ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ﴾ مكتوبا مثبتا ﴿ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ أي: لا يعاقب أحدا من عباده بغير ذنب، ولا ينقص فاعل الطاعة من أجره الذي يستحقه)[71].

المسألة الثانية : محل الشاهد من الآية الكريمة قول الله تعالى :﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾.

المسألة الثالثة : أثر القاعدة في تفسير الآية الكريمة .

قول الله تعالى : ﴿ لَا ﴾ نافية[72] ، وقوله تعالى : ﴿ صَغِيرَةً ﴾ و﴿كَبِيرَةً ﴾ نكرتان في سياق النفي في قوله : ﴿ **لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً** ﴾ ، وذلك من صيغ العموم، فيكون معناه لا يترك شيئا من الذنوب أي ذنب كان إلا حفظها كلها[73] .

المسألة الرابعة : الدراسة .

أولا : تأثره بمن سبقه من المفسرين.

وقد أشار جماعة من المفسرين إلى هذا المعنى تلميحا لا تصريحا فمن هؤلاء : ابن الجوزي[74] ، والرازي[75] ، والنيسابوري[76].

---

[71] فتح القدير ، 3/ 346 . 348 .

[72] ينظر :الجدول في إعراب القرآن الكريم ، محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: 1376هـ) ، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت ، ط4، 1418 هـ ، 15/ 201 .

[73] ينظر : الكشاف ، 2/ 726 . وبيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب ، محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الأصفهاني (ت: 749هـ) ، تحقيق: محمد مظهر بقا ، دار المدني، السعودية ، ط1، 1406هـ / 1986م ، 2/ 113 .

[74] ينظر : زاد المسير في علم التفسير ، 3/ 89 .

ثانيا : تأثيره بمن بعده من المفسرين .

وممن ذهب إلى العمل بهذه القاعدة عند تفسير هذه الآية بعد الشوكاني مثلا: القنوجي[77].

ثالثا : مجمل الأقوال الواردة في معنى قوله تعالى : ﴿ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾ ، أربعة وهي :

القول الأول: الصغيرة : هي الضحك ، والكبيرة : هي ما جاءت النص بتحريمها .

القول الثاني: الصغيرة : أنها صغائر الذنوب ، والكبيرة ما قرنت بالوعيد والحَدِّ .

القول الثالث : الصغيرة الشهوة ، والكبيرة العمل .

القول الرابع : الصغيرة: التبسم والاستهزاء بالمؤمنين، والكبيرة: القهقهة[78] .

رابعا : الترجيح .

الذي يظهر– والعلم عند الله تعالى– أنَّ الراجح هو ما ذهب اليه الشوكاني ، وذلك لما يأتي :

أولا : من قواعد الترجيح المؤيدة لهذا القول، قاعدة:(القول الذي يؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك)[79]، هذا المعنى الراجح، جاء واضحا في آيات أخرى من كتاب الله عز وجل :﴿ هَذَا

ابن الجوزي هو : ابن الجوزي هو : عبد الرحمن بن علي بن محمد القُرشي ، أبو الفرج ابن الجوزي التميمي البغدادي الحنبلي ، صاحب التصانيف الكثيرة في فنون العلم ، منها : زاد المسير في التفسير ، وناسخ القرآن ومنسوخه ، والوجوه والنظائر ، توفي سنة (597 هـ) . ينظر: طبقات المفسرين ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) ، تحقيق: علي محمد عمر ، مكتبة وهبة – القاهرة ، ط1/ 1396 ، (61/1 . 62) .

[75] ينظر : مفاتيح الغيب ، 21/ 470 .

[76] ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: 850هـ) ، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلميه – بيروت ، ط1 – 1416 هـ ، 4/ 436 .

النيسابوري هو : الحسن بن محمد بن الحسين الشهير بابن القمي النيسابوري ، نظام الدين ، وكان يعرف بنظام الأعرج ، صنف غرائب القرآن ورغائب الفرقان في التفسير ، توفي بعد سنة (850هـ). ينظر: طبقات المفسرين الأدنه وي (420/1) .

[77] ينظر : فتح البيان ، 8/ 64 .

[78] ينظر : تفسير الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: 450هـ) ، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، 3/ 212 . 213 . وينظر : زاد المسير ، 3/ 89 .

[79] قواعد الترجيح، (312/1).

كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [80] وقوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾ [81] .

ثانيا : ينبغي أن يحمل الآية المذكورة على عمومها لأن هذا هو الأصل، ولعدم ورود مخصص فيما اطلعت عليه يخصصها بمعنى من المعاني المذكورة في مجمل الأقوال، وكذلك عملا بمقتضى قاعدة : إذا وقعت النكرة في موضع النفي تفيد العموم .

الفوائد والدلائل المستنبطة من الآية :

أولا : قال ابن عطية[82] : (وقدم الصغيرة اهتماما بها، لينبه منها، ويدل أن الصغيرة إذا أحصيت، فالكبيرة أحرى بذلك)[83] .

ثانيا : قال الرازي[84] : (دلت الآية على إثبات صغائر وكبائر في الذنوب)[85] .

ثالثا : قال ابن القيم[86] : (النكرة في سياق النفي تعم مستفاد من قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾)[87] .

---

[80] سورة الجاثية ، الآية 29 .

[81] سورة يس ، من الآية 12 .

[82] ابن عطية هو: عبد الحق بن أبي يكر أبو محمد بن غالب بن عطية، كان إماما في الفقه، وفي التفسير، وفي العربية، ولد سنة ثمانين وأربعمائة، من مصنفاته (المحرر الوجيز) في التفسير وغيره، توفي سنة إحدى وأربعين وخمسمائة هجرية. ينظر: طبقات المفسرين ، السيوطي، (50/1) .

[83] ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ) ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1 – 1422 هـ ، 3/ 521 .

[84] فخر الدين الرازي هو: أبو عبد الله، محمد بن عمر الحسين، الملقب فخر الدين، المعروف بابن الخطيب، الشافعي، ومن مصنفاته (مفاتيح الغيب) وغيره، توفي سنة ست وستمائة هجرية بمدينة هرات. ينظر: طبقات المفسرين ، الأدنروي ، (213/1– 214)

[85] ينظر : مفاتيح الغيب ، 471/21 .

[86] ابن القيم هو : شمس الدين ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي، المشهور بابن قيم الجوزية ، له تصانيف في فنون عديدة منها : بدائع الفوائد، وزاد المعاد في هدي خير العباد، وغير ذلك ، توفي سنة (751هـ) . ينظر : ذيل طبقات الحنابلة ، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد ، الحنبلي (ت: 795هـ) ، تحقيق: د عبد الرحمن العثيمين ، مكتبة العبيكان – الرياض ، ط1/ 1425 هـ ، (170/5 وما بعده).

[87] ينظر : بدائع الفوائد ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ) ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ، 4/ 2 .

رابعا : قال الشنقيطي[88] : (هذه الآية الكريمة يفهم منها أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة ؛ لأنهم وجدوا في كتاب أعمالهم صغائر ذنوبهم محصاة عليهم، فلو كانوا غير مخاطبين بها لما سجلت عليهم في كتاب أعمالهم. والعلم عند الله تعالى)[89] .

المطلب الرابع

النكرة في سياق النفي في قول الله تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾[90].

فيه مسائل : المسألة الأولى : تفسير الآية الكريمة .

قال الشوكاني رحمه الله :(﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ أي: وما أصابكم من المصائب كائنة ما كانت فبسبب ما كسبت أيديكم من المعاصي ... قال الحسن: المصيبة هنا الحدود على المعاصي[91]، والأولى الحمل على العموم كما يفيده وقوع النكرة في سياق النفي[92] ، ودخول من الاستغراقية عليها ، قوله ﴿ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ ويعفوا عن كثير من المعاصي التي يفعلها العباد فلا يعاقب عليها، فمعنى الآية: أنه يكفر عن العبد بما يصيبه من المصائب، ويعفو عن كثير من الذنوب ... والعفو يصدق على تأخير العقوبة كما يصدق على محو الذنب ورفع الخطاب به) [93] .

---

[88] الشنقيطي هو: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، الشنقيطي، مفسر، من علماء الشنقيط (موريتانيا)، من مصنفاته (أضواء البيان) في التفسير و(منهج دراسات لآيات الصفات) وغير ذلك، توفي سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وتسعين هجرية . ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد ، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ) ، دار العلم للملايين ، ط15/ 2002 م ، (45/6).

[89] ينظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: 1393هـ) ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، 1415 هـ – 1995 مـ ، 3/ 289 .

[90] سورة الشورى ، الآية 30 .

[91] قال ابن عطية : (أي ما أصابكم من حد من حدود الله، وتلك مصائب تنزل بشخص الإنسان ونفسه، فإنما هي بكسب أيديكم) المحرر الوجيز ، 5/ 37 .

[92] قلت (الباحث) : قول المصنف : (مصيبة) نكرة في سياق النفي ، فيه نظر – فيما يظهر – والصحيح نكرة في سياق الشرط ، لأن (ما) في قوله تعالى : (وما أصابكم) شرطية وليست نافية ، والنكرة في سياق الشرط أيضا تفيد العموم كما هو مقرر عند أهل الأصول ، ولعل ذلك سبق قلم من الشوكاني أو سهو من الناسخين – والله تعالى أعلم – .

[93] فتح القدير ، 4/ 617 .

المسألة الثانية : محل الشاهد من الآية الكريمة قول الله تعالى :﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ ﴾.

المسألة الثالثة : أثر القاعدة في تفسير الآية الكريمة .

قول الله تعالى : ﴿ وَمَا ﴾ شرطية[94] ، وقوله تعالى : ﴿ مُّصِيبَةٍ ﴾ ، نكرة وقعت في سياق الشرط في قوله : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ ﴾ ، والنكرة إذا كانت كذلك فهي تفيد العموم كما هي في سياق النفي عند المحققين من الأصوليين[95] ، فيكون معناه وما أصابكم أي مصيبة كبيرة كانت أو صغيرة فبسبب معاصيكم التي اكتسبتموها .

المسألة الرابعة : الدراسة .

أولا : تأثره بمن سبقه من المفسرين .

وقد ذهب بعض المفسرين الى أن المراد بالمصيبة هنا عام يشمل سائر المصائب والنكبات ، فمن هؤلاء : الرازي[96] ، والخازن[97] ، وابن القيم[98] ، وأبو السعود[99] ، وغيرهم[100] .

---

[94] ينظر : إعراب القرآن وبيانه ، 9/ 35 .

[95] ينظر : البرهان في أصول الفقه ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت: 478هـ) ، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط1، 1418 هـ - 1997 م ، 1/ 119 . وينظر : تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ) ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة ، ط2، 1420هـ - 1999 م ، 1/ 203 .

[96] ينظر : مفاتيح الغيب ، 27/ 600 .

[97] ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: 741هـ) ، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1، 1415 هـ ، 4/ 101 .

الخازن هو : أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيحي البغدادي، علاء الدين، خازن الكتب السميساطية، واشتهر بالخازن بسبب ذلك، سمع الحديث، وكان من أهل العلم، من مصنفاته : لباب التأويل ، وشرح العمدة ، وغير ذلك ، توفي سنة (741هـ) . ينظر : طبقات الشافعية أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت 851هـ) ، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب . بيروت ، ط1/ 1407 هـ ، (42/3) ، وطبقات المفسرين ، الأدنه وي ، (267/1) .

[98] ينظر : طريق الهجرتين وباب السعادتين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ) ، دار السلفية، القاهرة، مصر ، اط2، 1394هـ ، 1/ 276 .

[99] ينظر : تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، 8/ 33 .

ثانيا : تأثيره بمن بعده من المفسرين.

وممن ذهب إلى العمل بهذه القاعدة عند تفسير الآية المذكورة القنوجي[101]

ثالثا : مجمل الأقوال الواردة في المراد بالمصيبة في الآية المذكورة ثلاثة أقوال وهي :

القول الأول: أنه الحدود على المعاصي ، قاله الحسن.

القول الثاني: أنها البلوى في النفوس والأموال عقوبة على المعاصي والذنوب.

القول الثالث : إنَّ الآية على العموم[102] .

رابعا : الترجيح .

الذي يظهر– والعلم عند الله تعالى – أنَ الراجح في المراد بالمصيبة هنا عام يشمل جميع ما ذكر ، دلت لهذا الترجيح أمور منها:

أولا : بناء على القاعدة الترجيحية لدى المفسرين:(يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص)[103]، وكذلك يؤيده قاعدة:(إذا احتمل اللفظ معاني عدة، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها)[104] ، نظرا لهاتين القاعدتين ينبغي أن يحمل (مصيبة) هنا على عمومها، لأن اللفظ يتناولها؛ ولعدم وجود مخصص من القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فيما وقفت عليه يخصصه بمعنى معين.

وممن اختار العموم، بعض العلماء منهم ابن القيم فقال : (فهذا عام في كل مصيبة دقيقة وجليلة)[105] .

ثانيا : ومما يؤيد هذا الترجيح أيضا، قاعدة: النكرة في سياق الشرط تفيد العموم[106] .

أبو السعود هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، أبو السعود، ولد سنة ست وتسعين وثمانمائة ، من تصانيفه (إرشاد العقل السليم) المشهور عند الناس بتفسير أبي السعود، وكانت وفاته سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة هجرية . ينظر: طبقات المفسرين، الأدنروي ، (1/398 – 399).

[100] ينظر : روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (ت: 1127هـ) ، دار الفكر – بيروت ، 8/ 322 .

[101] ينظر : فتحُ البيان ، 12/ 305 .

[102] ينظر : تفسير الماوردي ، 5/ 204 . وينظر : تفسير القرآن ، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: 489هـ) ، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن، الرياض – السعودية ، ط1، 1418هـ- 1997م ، 5/ 78 .

[103] قواعد الترجيح ، 2/ 527 .

[104] قواعد التفسير ، خالد بن عثمان السبت ، دار عفان ، 1/ 807 .

[105] طريق الهجرتين وباب السعادتين ، 1/ 276 .

[106] ينظر : التحرير والتنوير ، 29/ 229 .

تنبيهات وعبرة لمن ادّكر :

قال المراغي[107] : (فالله سبحانه جعل الذنوب أسبابا لها نتائجها ومسبباتها: ... والأمم الظالمة التي لا تناصر بين أفرادها، بل بينها التقاطع، ويبتز بعض أفرادها أموال بعض آخر، تصاب بالمهانة بعد العظمة والذلة بعد العزة، وما الأمثال فى ذلك بعزيزة، فها هى ذى الأمم الشرقية إنما أصابها ما أصابها من الضعف والخمول والاضمحلال ثم الزوال من صفحة الوجود بما اجترحت من ظلم وإفساد فى الأرض، وأكل بعضها أموال بعض واحتجان عظمائها الأموال فى خزائنهم، وابتزازها من أيدى الضعفاء وقد اقتص الله لهم منهم، فأضاع ملكهم، وأذهب ريحهم، وجعلهم لقمة سائغة للمستعمرين الذين تحكموا فيهم وجعلوهم كالعبيد، يتصرفون فيهم بحسب أهوائهم، وما تمليه عليهم مصالحهم، وما يدرّ عليهم الخير لبلادهم وشعوبهم.

وفى هذا عبرة لمن ادّكر)[108] .

وقال ابن عاشور[109] : (وقد تصيب الصالحين نكبات ومصائب وآلام فتكون بلوى وزيادة في الأجر ولما لا يعلمه إلا الله، وقد تصيب المسرفين خيرات ونعم إمهالا واستدراجا ولأسباب غير ذلك مما لا يحصيه إلا الله) .[110]

المطلب الخامس

النكرة في سياق النفي في قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾[111].

فيه مسائل : المسألة الأولى : تفسير الآية الكريمة .

قال الشوكاني رحمه الله : (قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا أي: لا أقدر أن أدفع عنكم ضرا، ولا أسوق إليكم خيرا، وقيل: الضر: الكفر، والرشد: الهدى، والأول أولى لوقوع النكرتين في سياق النفي، فهما يعمان كل ضرر وكل رشد في الدنيا والدين)[112] .

---

[107] المراغي هو : أحمد بن مصطفى المراغي ، مفسر مصري، من كتبه : الحسبة في الإسلام والوجيز في أصول الفقه ، وتفسير المراغي ، وغير ذلك ، توفي بالقاهرة سنة (1371هـ) . ينظر : الأعلام ، (258/1) .

[108] تفسير المراغي ، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، ط1، 1365 هـ - 1946 م ، 25/ 47 .

[109] ابن عاشور هو: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، رئيس المفتين المالكين، ومن أشهر مصنفاته (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (التحرير والتنوير) في التفسير، توفي سنة ، (ت:1393هـ). ينظر: الأعلام، (174/6).

[110] التحرير والتنوير ، 25/ 102 .

[111] سورة الجن ، الآية 21 .

[112] فتح القدير ، 5/ 371 .

المسألة الثانية : محل الشاهد من الآية الكريمة قول الله تعالى :﴿ لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴾

المسألة الثالثة : أثر القاعدة في تفسير الآية الكريمة.

قول الله تعالى : ﴿ لَآ ﴾ نافية[113] ، وقوله تعالى : ﴿ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴾ نكرتان في سياق النفي في قوله : ﴿ لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴾ كلاهما للعموم ، فيدخل تحت ذلك سائر أنواع الضر والرشد في الدنيا والدين .

المسألة الرابعة : الدراسة .

أولا : تأثره بمن سبقه من المفسرين.

وقد أشار بعض المفسرين إلى أنَّ المراد بالضر والنفع هنا العموم ، فمن هؤلاء : الطبري[114] ، والنحاس[115] ، والمراغي[116] ، وصاحب التفسير المنير[117] .

ثانيا : تأثيره بمن بعده من المفسرين.

وممن صرح بذكر هذه القاعدة عند تفسير الآية المذكورة مِنْ بعد الشوكاني . حسب اطلاعي . القنوجي [118]

ثالثا : مجمل الأقوال الواردة في المراد بالضر والنفع في الآية أربعة أقوال وهي :

القول الأول : عذاباً ولا نعيماً.

القول الثاني: موتاً ولا حياة.

القول الثالث: ضلالاً ولا هدى.

القول الرابع : عام في كل ضرر وكل رشد في الدنيا والدين[119] .

رابعا : الترجيح .

---

[113] ينظر : الجدول في إعراب القرآن الكريم ، 29/ 114 .

[114] ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ) ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط1، 1420 هـ - 2000 م ، 23/ 669 .

[115] ينظر : إعراب القرآن ، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: 338هـ) ، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1421 هـ ، 5/ 36 .

[116] ينظر : تفسير المراغي ، 29/ 103 .

[117] ينظر : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر – دمشق ، ط2 ، 1418 هـ ، 29/ 177 .

[118] ينظر : فتحُ البيان ، 14/ 365 .

[119] ينظر : تفسير الماوردي ، 6/ 121 . وينظر : فتح القدير ، 5/ 371 .

الذي يظهر – والله تعالى أعلم – أنَ الراجح هو ما ذهب إليه الشوكاني وذلك لأمور منها:

أولا: من قواعد الترجيح المؤيدة لهذا القول، قاعدة:(القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك)[120]، يشهد للقول الراجح، مجيء آيات أخر من كتاب الله عز وجل كقوله تعالى:﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[121] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ ﴾[122] ، وغير ذلك من الآيات.

ثانيا : القول الذي رجحه الشوكاني قول جامع لكل المعاني المذكورة في مجمل الأقوال، وإذا احتمل اللفظ معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها[123].

ثالثا : قول الله تعالى : ﴿ ضَرًّا وَلَا رَشَدٗا ﴾ نكرتان وقعتا في حيز النفي فأفاد العموم كما استدل به الشوكاني .

المسألة الخامسة : الفوائد والدلائل الأخرى المستنبطة من الآية :

أولا : قال ابن تيمية[124] : (وهذا ونحوه يتضمن اعترافه بأنه عبد الله ورسول من الله لا يتعدى حد الرسالة ولا يدعي المشاركة في الألوهية، كما ادعته النصارى في المسيح)[125] .

ثانيا : قال السعدي : (وإذا كان الرسول الذي هو أكمل الخلق، لا يملك ضرا ولا رشدا، ولا يمنع نفسه من الله [شيئا] إن أراده بسوء، فغيره من الخلق من باب أولى وأحرى) .[126]

---

[120] قواعد الترجيح ، 1/ 312 .

[121] سورة الأعراف ، الآية 88 .

[122] سورة الممتحنة من الآية 4 .

[123] ينظر : قواعد التفسير، 1/ 807 .

[124] ابن تيمية هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ، ثم الدمشقي الحنبلي ، أبو العباس ، له شهرته وإمامته في علوم الإسلام من المنقول والمعقول، تصانيفه كثيرة منها : منهاج السنة النبوية ، ومقدمة في أصول التفسير ، وغير ذلك ، توفي سنة (728هـ) . ينظر : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، شمس الدين محمد بن أحمد الدمشقي الحنبلي (ت 744هـ) ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار الكاتب العربي – بيروت ، (18/1 وما بعده) .

[125] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ) ، تحقيق: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد ، دار العاصمة، السعودية ، ط2، 1419هـ / 1999م ، 3: 158 .

[126] تيسير الكريم الرحمن ، 1/ 891 .

المطلب السادس

النكرة في سياق النفي في قول الله تَعَالَىٰ:﴿ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَغِيَةٗ ﴾[127].

فيه مسائل : المسألة الأولى : تفسير الآية الكريمة .

قال الشوكاني رحمه الله : (قوله تعالى : ﴿ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَغِيَةٗ ﴾ أي: لا تسمع أنت أيها المخاطب، أو لا تسمع تلك الوجوه ... واللغو: الكلام الساقط. [يقال]: أي لا تسمع فيها كلمة لغو. ويقال: المراد بذلك الكذب والبهتان والكفر قاله قتادة، [ويقال]: أي الشتم. [ويقال]: لا تسمع فيها حالفا يحلف بكذب. [ويقال]: لا تسمع في الجنة حالفا بيمين برة ولا فاجرة. [ويقال]: لا تسمع في كلام أهل الجنة كلمة تلغى لأنهم لا يتكلمون إلا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم، وهذا أرجح الأقوال لأن النكرة في سياق النفي من صيغ العموم، ولا وجه لتخصيص هذا بنوع من اللغو خاص إلا بمخصص يصلح للتخصيص)[128] .

المسألة الثانية : محل الشاهد من الآية الكريمة قول الله تعالى :﴿ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَغِيَةٗ ﴾

المسألة الثالثة : أثر القاعدة في تفسير الآية الكريمة.

قول الله تعالى : ﴿ لَّا ﴾ نافية[129] ، وقوله تعالى : ﴿ لَغِيَةٗ ﴾ نكرة في سياق النفي في قوله : ﴿ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَغِيَةٗ ﴾ وهي من صيغ العموم، تعم نفي جميع أنواع اللغو في الجنة مطلقا ، فيلزم من ذلك تنزه الجنة عن النقائص[130] .

المسألة الرابعة : الدراسة .

أولا : تأثره بمن سبقه من المفسرين.

وقد سبق الشوكاني إلى ترجيح هذا القول بعض المفسرين، منهم: القرطبي[131] ، وابن القيم[132] .

---

[127] سورة الغاشية ، الآية 11 .

[128] فتح القدير ، 5/ 522 . 523 .

[129] ينظر : إعراب القرآن وبيانه ، 10/ 458 .

[130] ينظر : التحرير والتنوير ، 300/30 .

[131] ينظر : الجامع لأحكام القرآن ، 20/ 33 .

القرطبي هو: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، الخزرجي، القرطبي، كان إماما علماً من الغواصين على معاني الحديث، حسن التصنيف، جيد النقل، من تصانيفه (التذكرة بأمور الآخرة) و(الجامع لأحكام القرآن) وغير ذلك، توفي سنة إحدى وسبعين وستمائة هجرية. ينظر: طبقات المفسرين، السيوطي ، 79/1 .

ثانيا : تأثيره بمن بعده من المفسرين.

وممن ذهب إلى العمل بهذه القاعدة عند تفسير هذه الآية بعد الشوكاني مثلا: القنوجي[133] ، وصاحب حدائق الروح والريحان[134] .

ثالثا : مجمل الأقوال الواردة في المراد باللغو في الآية ستة أقاويل :

القول الأول : كذبا وبهتانا وكفرا بالله عز وجل .

القول الثاني : لا باطل ولا إثم .

القول الثالث : أنه الشتم .

القول الرابع : المعصية .

القول الخامس : لا يسمع فيها حالف يحلف بكذب[135] .

القول السادس : لا يسمع في كلامهم كلمة بلغو، لأن أهل الجنة لا يتكلمون إلا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم [136] .

رابعا : الترجيح .

الذي يظهر أنَ الأرجح في المراد باللغو في الآية أنه عام ، وهو القول السادس من مجمل الأقوال، دلت لهذا الترجيح أمور منها:

أولا : بناء على القاعدة الترجيحية لدى المفسرين: (إذا احتمل اللفظ معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها)[137].

قال القرطبي بعد ذكره لهذه الأقوال: (وهو [أي : القول السادس] أحسنها لأنه يعم ما ذكر)[138] .

---

[132] ينظر : مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1/ 25 .

[133] ينظر : فتحُ البيان ، 15/ 204 .

[134] ينظر : تفسير حدائق الروح والريحان ، 31/ 380 .

[135] قال النحاس : (قال الفراء لاغية أي حالفا بكذب. قال أبو جعفر: وهذا القول شاذ لأنه خارج عن قول أهل التفسير ولا يطلق لأحد أن يخرج عن جملتهم في ما قالوه وإن كان قوله محتملا) . إعراب القرآن ، أبو جعفر النَّحَّاس ، 5/ 132 .

[136] لمعرفة قائلي هذه الأقوال ينظر : تفسير الماوردي ، 6/ 260 . 261 . وينظر : الجامع لأحكام القرآن ، 20/ 33 .

[137] قواعد التفسير، 1/ 807 .

[138] الجامع لأحكام القرآن ، 20/ 33 .

ثانيا : استنادا إلى قاعدة:(يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص)[139] نظرا لهذه القاعدة ينبغي أن يحمل لفظ (اللغو) هنا في الآية على عمومها، لعدم ورود مخصص فيما وقفت عليه يخصصها بمعنى دون آخر.

قال ابن القيم : (فَهَذَا نفي عَام لَا يجوز تَخْصِيصه الا بمخصص بَين)[140] .

ثالثا : ومما يؤيد هذا الترجيح أيضا، قاعدة: النكرة في سياق النفي تفيد العموم كما اعتمد عليها الشوكاني .

الخاتمة وأهم النتائج

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد : فهذه خاتمة – أسأل الله حسنها – أذكر فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال إعداد هدا البحث ، وذلك على النحو الآتي :

أولا : أهم النتائج المتعلقة بسيرة الإمام الالوسي – رحمه الله –:

1– ولد أبو الثناء محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش ببغداد في يوم الجمعة منتصف شعبان في سنة (1217 هـ) سبع عشرة ومائتين وألف ، وتوفى في يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة (١٢٧٠هـ) سبعين ومائتين بعد الألف من هجرة المصطفى . ﷺ . ، ودفن مع أهله في مقبرة الشيخ معروف الكرخي .

2 . لقب بـ (شهاب الدين)، إلا أن شهرته بنسبته (الآلوسي) حلت محل اسمه ولقبه.

ثانيا: أهم النتائج التي توصلت اليها أثناء دراسة النكرة في سياق النفي وأثرها في التفسير ، نماذج من تفسير (روح المعاني) للآلوسي ، دراسة تطبيقية.

1 . إنَّ النكرة الواقعة في موضع النفي تفيد العموم ، ولها أثرها في التفسير .

2 . وقد اعتنى الآلوسي بقاعدة : النكرة في سياق النفي عناية عظيمة في تفسيره .

3 . هذه القاعدة من القواعد المشتركة بين التفسير ، وأصول الفقه ، وعلم المعاني.

4 . تأثر الالوسي بالبيضاوي ، وأبي حيان الاندلسي ، وأبي السعود أكثر من غيرهم .

6 . انفرد الآلوسي في مسألتين ، لم يسبقه إليها أحد من المفسرين . حسب اطلاعي . .

7 . أكثر من تأثر بالإمام الآلوسي من المفسرين هو: ابن عاشور ، ومحمد سيد طنطاوي ، وصاحب تفسير حدائق الروح والريحان .

8 . بلغت النماذج التي تمت دراستها (6) نماذج .

---

[139] قواعد الترجيح ، 2/ 527 .

[140] مفتاح دار السعادة ، 1/ 25 .

Rule: Denial in the context of negation and its impact on interpretation, models of interpretation (Fath al-Qadeer) by .Al-Shawkani, an applied study

Dr. Ali Mahmoud Hama Mouloud

Kirkuk University / College of Education for Humanities / Department of Quranic Sciences

(Exact jurisdiction (interpretation

Keywords: denial, context, negation, interpretation, .Shawkani

Search Summary

. **Title: Rule:** Denial in the Context of Exile and Its Effect on Interpretation, Models of the Interpretation (Open Almighty) of Chocani, Applied Study.. Research Objective: The research aims to highlight a connotation: denial in the context of exile and its effect on interpretation, making Shukani's interpretation a field of application, taking models of it, and it deserves study to be independent research. Research Plan: The researcher has divided his study into researchers: First Research: The Personal and Scientific Curriculum Vitae of Chocani, with three demands. Second research: Applied study, with six demands, where I display and study models.. Conclusion: The most important results include: 1. The denial in the position of denial is generally useful and has an effect on interpretation. 2. Shawkani was influenced by the oval, Zahan's Andalusian father, and son of values more than others.. 3. The .models studied amounted to 6